

الخدمة الخالية من الأنانية الشيخ دالين أو كس من رابطة الرسل الإثني عشر

يعلّمنا مخلصنا أن نتبعه من خلال القيام بالتضحيات الضرورية التي تُهلك فيها أنفسنا في خدمة الآخرين خدمة خالية من الأنانية.

وهب مخلصنا نفسه في خدمة خالية من الأنانية . علم أنه يتعين على كلِّ منا أن يتبعه من خلال التخلي عن الاهتمامات الأنانية بغية خدمة الآخرين.

"[قال]، إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني،

"فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها" (متى 16: 24--25؛ راجع أيضاً متى 10: 39).
I.

يفرد قديسو الأيام الأخيرة، كمجموعة، باتباع هذا التعليم---هم يفردون بمدى خدمتهم الخالية من الأنانية.

في كلّ سنة، يقدّم عشرات الآلاف من قديسي الأيام الأخيرة أوراقهم للتفرّغ للخدمة التبشيرية. يتخلى المتقدمون في السنّ عن تسليمات التقاعد وراحة المنزل ورفقة أولادهم وأحفادهم المحبّية ويتجهّون إلى خدمة الغرباء في أماكن غير مألوفة . يعلّق الشبان والشابات العمل والعلم ويقدمون أنفسهم لخدموا أينما يتمّ تعيينهم . يساهم مئات الآلاف من الأعضاء المؤمنين في الخدمة الخالية من الأنانية التي ندعوها "عمل الهيكل" والتي لا محقّز للقيام بها سوى حبّ إخواننا وخدمتهم، أكانوا أحياءً أم أمواتاً. الخدمة الخالية من الأنانية ذاتها يقدمها الكثيرون من المسؤولين والمدرّسين في أوتادنا وأجنحتنا وفروعنا . لا يحصل أيّ منهم على تعويض دينوي غير أنهم ملتزمون بتقديم الخدمة الشبيهة بخدمة المسيح لإخوانهم. ليس سهلاً أن تتخلى عن أولوياتنا ورغباتنا الشخصية . منذ سنوات عديدة، شعر مبشّر جديد في إنكلترا بالإحباط واليأس . كتب لأهله في الوطن قائلاً إنّه يشعر بأنّه يضيّع وقته. فردّ والده الحكيم قائلاً: "انس نفسك واهب إلى العمل." 1 فرجع الشيخ الشاب غوردن هنكلي وقطع مع الربّ عهداً بأنّه سيجاول أن ينسى ذاته ويهلك نفسه في خدمة الربّ . 2 وبعد مضيّ سنوات، يقول الشيخ هنكلي، بعد أن أصبح خادماً ناضجاً للربّ : "من يعيش لذاته فقط يضعف ويموت، أمّا من ينسى نفسه في خدمة الآخرين فينمو ويزدهر، في هذه الحياة وفي الأبدية." 3

في شهر كانون الثاني الماضي، علم الرئيس توماس مونسن طلاب جامعة بريغهام يونغ أنّ حياتهم الدراسية يجب أن تشمل "موضوع الاستعداد الروحي"، بما في ذلك خدمة الآخرين. وقال الرئيس مونسن: "لقد تميّزت مهمّة المعلم بتصرفات محبّة". "جعل العميان يبصرون، والعرج يمشون، والموتى يقومون. وربّما عندما [نواجه] صانعنا لن نُسأل: 'كم مركزاً شغلت؟' بل 'كم شخصاً ساعدت؟' وختم الرئيس مونسن قائلاً: "في الحقيقة لا يمكنكم أن تحبّوا الربّ أبداً إلى أن تخدموه من خلال خدمة شعبه." 4

أمّا المثل المعهود عن التضحية بأنفسنا في خدمة الآخرين--- وهو ليس محصوراً بقديسي الأيام الأخيرة--- فهو التضحية التي يقوم بها الأهل من أجل أبنائهم . تتحمّل الأمّهات الألم وفقدان الأولويات والراحة الشخصية لتحمل كلّ طفل وتربيته . ويغيّر الأباء حياتهم وأولوياتهم لإعالة العائلة . وفي عالم اليوم، تتسع الهوة بين من هم مستعدّون للقيام بذلك ومن هم غير مستعدّين للقيام بذلك . سمع أحد أعضاء عائلتنا مؤخراً زوجين شابين على متن طائرة يشرحان أنّهما اختارا تربية كلب بدلاً من الأطفال . قالوا إنّ "الكلاب أقلّ تسبباً بالمشاكل . " "الكلاب لا تردّ في وجهك، ولا نضطر أبداً إلى احتجازها في البيت لمعاقبتهها."

نحن فرحون لأنّ كثيرين من أزواج قديسي الأيام الأخيرة ينتمون إلى أفراد المجموعة غير الأنانية الذين يرغبون في التخلي عن أولوياتهم الشخصية وخدمة الربّ من خلال إنجاب وتربية الأطفال الذين يرسلهم أبونا السماوي ليهبوا مَوا بهم . نحن فرحون أيضاً بأولئك الذين يهتمّون بأفراد العائلة المعوقين وبالأهل المسنين . ولا يسأل أيّ ممّن يقومون بهذه الخدمة : ماذا أستفيد من ذلك؟ كلّ ما يتطلبه ذلك هو التخلي عن وسائل الراحة الشخصية من أجل الخدمة الخالية من الأنانية . ويتعارض ذلك كلّ مع الشهرة والثروة ومتع أنية أخرى وهي الطرق الدنيوية للكثيرين في أيّامنا الراهنة.

قدّيسو الأيام الأخيرة ملتزمون بصورة فريدة بالتضحية . يتناول القربان في كلّ أسبوع، نشهد على التزامنا بخدمة الربّ وإخواننا. في خلال مراسم الهيكل المقدّسة نتعهّد بالتضحية بوقتنا ومواهبنا وبتركيسها لخير الآخرين.

II.

قدّيسو الأيام الأخيرة معروفون أيضاً بقدرتهم على الاتحاد في بذل الجهود التعاونية . وضع الرواد المورمون الذين استوطنوا في إنترماونتن وسنت تقليدنا النبيل الذي يقضي بالتعاون الخالي من الأنانية للخير العام. وفي إطار هذا التقليد، تلت مشاريع "أيادي العون" الحديثة التي نقدّنها في أمم كثيرة. 5 في الانتخابات الأخيرة اتحد قدّيسو الأيام الأخيرة مع أشخاص آخرين يشاطرونهم الرأي للدفاع عن الزواج . بالنسبة إلى البعض، تطلبت هذه الخدمة تضحية عظيمة وأماً شخصياً مستمراً.

علم الإيمان الديني والخدمة الكنسية أعضاءنا كيف يعملون باذلين جهوداً تعاونية ليفيدوا المجتمع الأوسع . لذلك، إنّ متطوعي قدّيسو الأيام الأخيرة مطلوبون في مجالات التربية والحكومات المحلية والقضايا الخيرية وجهود أخرى لا تحصى ولا تعدّ تتطلب كفاءات عالية في الجهود التعاونية والتضحية الخالية من الأنانية بالوقت والوسائل.

يعزو البعض استعداد أعضائنا للتضحية وكفاءاتهم في الجهود التعاونية إلى تنظيم كنيستنا الفعّال أو إلى ما يدعوه المشككون على نحو خاطئ "الطاعة العمياء." ليس أيّ من هذين التفسيرين صحيحاً. لن ينجح تقليد تنظيمنا أو اتباع الطاعة العمياء في تحقيق مثل لما سجّلته هذه الكنيسة أو لأداء أعضائنا. ينبع استعدادنا للطاعة وكفاءتنا في الجهود التعاونية من إيماننا بالربّ يسوع المسيح ومن تعاليم قادتنا الملهمة والالتزامات والعهود التي نقطعها عن وعي.

III.

لسوء الحظ، يمتنع بعض قدّيسو الأيام الأخيرة عن تقديم الخدمة الخالية من الأنانية للآخرين ويختارون بدلاً من ذلك، وضع أولوياتهم على أساس معايير العالم وقيمه . حدّر يسوع من أنّ الشيطان يريد أن يغربلنا كالحنطة (راجع لوقا 22: 31؛ 3 نافي 18: 18)، وهذا يعني أن يجعلنا شبيهين بمن حولنا. لكن يسوع علم أنّه يجب علينا، نحن الذين نتبعه، أن نكون قيّمين ومميّزين، أن نكون "ملح الأرض" (متّى 5: 13) و"نور العالم"، لنُضيء لجميع الناس (متّى 5: 14، 16؛ راجع أيضاً 3 نافي 18: 24).

لا نخدم مخلصنا جيداً إن خفنا الناس أكثر من الله . لقد ويّخ بعض القادة في كنيستنا المستعادة لسعيهم خلف مديح العالم ولا نشغال عقولهم بأمور العالم أكثر منه بأمور الربّ (راجع المبادئ والعهود 30: 2؛ 58: 39). يذكّرنا هذا التأديب بأننا مدعوون لزرع معايير الربّ وليس لاتباع معايير العالم. أعلن الشيخ جون ويدتسو: "لا يمكننا أن نتصرّف كغيرنا من الناس أو نتكلم كغيرنا من الناس أو نقوم بما يقوم به غيرنا من الناس، لأنّ مصيرنا وواجبنا والمسؤولية الملقاة على عاتقنا مختلفة وعلينا أن نتكيّف [معها]." 6 وينطبق هذا الواقع في الحقيقة على أيّ تصرّف يتبع الموضة بما في ذلك اللباس غير المحتشم. ولقد قال صديق حكيم لي إنّنا، "لا نستطيع أن نكون عمّال إنقاذ إن بدونا كالسابحين الآخرين على الشاطئ." 7

أولئك المنشغلون بمحاولة إنقاذ حياتهم من خلال السعي وراء مديح العالم يرفضون في الحقيقة تعليم المخلص الذي يشرح أنّ الطريقة الوحيدة لإنقاذ حياتنا الأبدية هي أن نحبّ بعضنا بعضاً ونضحّي بحياتنا في الخدمة.

شرح ك. س. لويس تعليم المخلص هذا: "منذ اللحظة التي تحصل فيها على ذات، ثمّة إمكانية بأن تضع ذاتك أولاً--- راعياً في أن تكون المحور--- راعياً في أن تكون الله في الواقع . كانت تلك خطيئة الشيطان : وكانت تلك الخطيئة التي علمها للجنس البشري. يعتقد بعض الناس أنّ سقوط الإنسان كان له علاقة بالجنس ولكنّ ذلك غير صحيح . . . ما زرعه الشيطان في رؤوس أسلافنا القدماء هو فكرة تقول إنّهم يستطيعون أن يكونوا 'كالألهة'--- يستطيعون أن يعتمدوا على أنفسهم كما لو أنّهم خلقوا أنفسهم--- وأن يكونوا سادة أنفسهم--- ويخترعوا نوعاً من السعادة لأنفسهم خارج الله، وبعيداً عن الله . وعن هذه المحاولة الميؤوس منها نتجت . . . القصّة الطويلة والرهيبة التي فيها يحاول الإنسان إيجاد شيء غير الله يُسعدّه." 8

يهتمّ الشخص الأناني بإسعاد الإنسان--- وخصوصاً ذاته--- أكثر ممّا يهتمّ بإسعاد الله . فهو يهتمّ لحاجاته ورغباته الخاصة فقط. يمشي "في طريقة مثبّعة صورة إله الذي صورته تشبه صورة العالم" (المبادئ والعهود 1: 16). ويصبح شخص كهذا منفصلاً عن وعود عهد الله (راجع المبادئ والعهود 1: 15) وعن الصداقة والمساعدة في الحياة الفانية التي نحتاج كلنا إليهما في هذه الأوقات المضطربة . في المقابل، إذا أحببنا وخدمنا بعضنا بعضاً كما علم المخلص، نبقي متّصلين بعهودنا وشركاننا.

نحن نعيش في زمن أصبحت فيه التضحية عادة قديمة، وقلت فيه القوي الخارجية التي علمت أسلافنا الحاجة إلى الخدمة التعاونية الخالية من الأنانية. ولقد أسماه أحدهم بجيل "الأنا"---زمن أناني يبدو أن الجميع فيه يسألون: ماذا أستفيد من ذلك؟ ويبدو أن من يجدر بهم أن يتمتعوا بفهم أكبر حتى، يعملون بجد ليكتسبوا مديح أولئك الذين يهزأون ويسخرون من "البناء العظيم الضخم" الذي وصفته الرؤيا بأنه كبرياء العالم (راجع نافي 8: 26--28؛ 11: 35--36).

الطموح الدنيوي الطاعي في يومنا هذا هو الحصول على الأشياء من دون مقابل . ويظهر شيطان الطمع القديم في ادعاء الأهلية: أنا مؤهل للحصول على هذا أو ذلك لكوني ما أنا عليه--- ابن أو ابنة أو مواطن أو ضحية أو عضو في مجموعة أخرى. الأهلية أنانية بشكل عام. فهي تطلب الكثير وتعطي القليل أو لا تعطي أبداً . ويدفعنا مفهومها بالذات إلى السعي لرفع أنفسنا فوق من حولنا. ويفصلنا ذلك عن قانون المكافآت الإلهي المنصف القائل بأنه عندما يتسلم شخص ما أية بركة من الله، فذلك يتم بإطاعة القانون الذي تتوقف عليه هذه البركة (راجع المبادئ والعهود 130: 21).

تظهر آثار الطمع والأهلية واضحة في المكافآت التي تبلغ ملايين الدولارات والتي يحصل عليها بعض مدراء الشركات . غير أن الأمثلة أوسع من ذلك بكثير . وقد غدى الطمع وأفكار الأهلية الاستتلاف العشوائي والمنتشر والاستهلاك المبالغ فيه وهي عوامل تسببت بالأزمات المالية التي تتهدد بإغراق العالم.

أما المقامرة فهي مثال آخر على الطمع والأنانية . يغامر المقامر بمبلغ صغير على أمل الحصول على عائدات هائلة تُسلب من الآخرين. ومهما كان المظهر الذي يتكر به، يبقى الحصول على شيء من دون مقابل مخالفاً لقانون الحصاد الوارد في الإنجيل: "فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً" (الرسالة إلى أهل غلاطية 6: 7؛ راجع أيضاً الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس 9: 6).

تُعلم قيم العالم على نحو خاطئ أن "كل شيء يتعلق بي". هذا السلوك المفسد لا يأتي بأي تغيير أو نمو . وهو يخالف التقدم الأبدي نحو المصير الذي حدده الله لأبنائه في خطته العظيمة . ترفعنا خطة إنجيل يسوع المسيح إلى ما فوق رغباتنا الأنانية وتعلمنا أن هذه الحياة تتمحور حول من يمكن أن نصبح.

تشكل المرحومة الأم تيريزا دي كالكوتا مثلاً عظيماً عن الخدمة الخالية من الأنانية، إذ ألزمتها نذرها وألزم إخوتها في العمل بتقديم "الخدمات المجانية الصادقة لأفقر الفقراء". 9 علمت أن "شيئاً واحداً سيضمن لنا الجنة دائماً--- أعمال المحبة والطيبة التي نملأ حياتنا بها". 10 قالت الأم تيريزا: "لا يمكننا القيام بأعمال عظيمة، بل بأعمال صغيرة بحب عظيم". 11 وعندما توفيت تلك الخادمة الكاثوليكية الصالحة، أعلنت رسالة التعزية التي وجهتها الرئاسة الأولى أن "حياتها في الخدمة الخالية من الأنانية هي إلهام للعالم بأسره وأعمالها التي تنم عن الطيبة المسيحية ستبقى ذكراً للأجيال المقبلة". 12 وهذا ما أسماه المخلص بالتضحية بحياتنا من أجل خدمة الآخرين.

على كل منا أن يطبق هذا المبدأ على تصرفاته لجهة حضور اجتماعات الكنيسة. يقول البعض: "لم أتعلم شيئاً اليوم" أو "لم يكن أحد لطيفاً معي" أو "تمت إهانتي" أو "الكنيسة لا تلبي حاجاتي". تلك الإجابات كلها تنم عن تركيز على الذات وهي كلها تؤخر النمو الروحي.

في المقابل، كتب صديق حكيم:

"منذ سنوات عديدة، غيرت سلوكي في ما خصّ الذهاب إلى الكنيسة . فلم أعد أذهب إلى الكنيسة من أجل بل لأفكر في الآخرين. أصرّ على إلقاء التحية على الأشخاص الجالسين بمفردهم، والترحيب بالزوّار، . . . والتطوع لمهمة ما . . .

"باختصار، أنا أذهب إلى الكنيسة في كل أسبوع بنية أن أكون ناشطاً وليس هادئاً وأن أحدث فارقاً إيجابياً في حياة الناس . نتيجة لذلك، أصبح حضوري إلى اجتماعات الكنيسة أكثر متعة وإرضاءً." 13

ويعكس ذلك كله المبدأ الأبدي القائل بأننا نكون أكثر سعادة ورضى عندما نعمل ونخدم لما نعطيهِ وليس لما نحصل عليه.

يُعلمنا مخلصنا أن نتبعه من خلال القيام بالتضحيات الضرورية التي تُهلك فيها أنفسنا في خدمة الآخرين خدمة خالية من الأنانية. إن قمنا بذلك، فهو يعدنا بالحياة الأبدية، "أعظم كل مواهب الله" (المبادئ والعهود 14: 7)، مجد وفرح العيش في حضرة الله الأب وابنه، يسوع المسيح. أشهد عليهما وعلى خطتهما العظيمة لخلاص أبنائهما، باسم يسوع المسيح، أمين.

- Quoted in Gordon B. Hinckley, "Taking the Gospel to Britain: A Declaration of Vision, Faith, Courage, and Truth," *Ensign*, July 1987, 7 .1
Ensign, July 1987, 7 راجع .2
Teachings of Gordon B. Hinckley (1997), 588.3
- Thomas S. Monson, "Great Expectations" (Church Educational System fireside for young adults, Jan. 11, 2009), www.ldsces.org .4
- "Mormon Helping Hands Program Completes First Decade of Service," *Liahona*, Mar. 2009, N1 راجع .5
 John A. Widtsoe, in Conference Report, Apr. 1940, 36.6
 Ardeth Greene Kapp, *I Walk by Faith* (1987), 97.7
- أضيفت الحروف المائلة، C. S. Lewis, *Mere Christianity* (1980) .8
- The Joy in Loving: A Guide to Daily Living with Mother Teresa*, comp. Jaya Chaliha and Edward Le Joly (1996), 15 .9
- Life in the Spirit*, ed. Kathryn Spink (1983), 42 .10
Life in the Spirit, 45.11
 "News of the Church," *Ensign*, Nov. 1997, 110.12
 Mark Skousen to Dallin H. Oaks, Feb. 15, 2009.13